تغيّر دلالة الخطاب بالصيغ الصّرفيّة / صيغة "أَفْعَلَ" في آية "البقرة" ١٨٤ أنموذجًا

د. أحمد إبراهيم صالح أحمد

الملخّص:

يقوم البحث – في الأصل – على إثبات ما للمعنى الصّريح من أهمّيّة في إفادة معنًى لغويّ معيّن، وتغيّر ذلك المعنى (اللغويّ) بتغيّر تركيبة الكلمة صرفيًّا؛ إنْ بالزيادة عليها أو بالإنقاص منها، على قاعدة تغيّر المعنى عند تغيّر المبنى، وتتجلّى هذه الفكرة بيّنةً بالنّظر في بعض السياقات اللغويّة في العربيّة، ومنها السياقات اللغويّة في آيات القرآن الكريم خاصّة. وفكرة البحث قائمة على إثبات المعنى اللغويّ الصحيح لكلمة: "يُطيقونه" في سياق خطابه – جلّ وعلا – للمؤمنين في فرض الصوم على القادرين منهم، وفرض دفع الفدية على من لا يستطيع الصّيام، وذلك في قوله تعالى: "وَعَلَى الَّذينَ يُطيقونَهُ فِدْيَةٌ" [البقرة: ١٨٤]؛ فبالنظر في تركيبة الكلمة صرفيًا يتبيّن معنًى لُغويٌّ جديد لم يكن واضحًا بالنظر الأوليّ للكلمة. ويوجز البحثُ – توطئةً للفكرة – القولَ في أهمّيّة الخطاب بين المخاطِب والمخاطَب وظروف ذلك الخطاب. وقد بُدء البحث بتمهيد فيه تعريفٌ للخطاب وأنواعه ومصطلحاته ومنطلقات البحث وغاياته، وعلاقة الخطاب بما سيُبحث في مطالب لاحقة. وتكوّن البحث – من ذلك التمهيد، وما تلاه من مطالب ثلاثة؛ أحدها: دلالة الخطاب في التفسير؛ أُثْبِتَ فيه نصُّ الآية الكريمة، وأقوال المفسّرين في تفسير الجزء مدار البحث على وجه الخصوص، وثانيها: دلالة الخطاب اللغويّ على العموم لوضع أسس يُتّكؤ عليها في إثبات الحُجّة المُنتهى إليها، والثالث الأخير: ما وراء الخطاب للآية الكريمة، حاول فيه الباحث إثبات الحُجّة بالتحليل والدليل والبرهان معتمدًا في ذلك على المطلبين السابقين.

الكلمات الدالّة: الخطاب – المعنى الصريح – صيغة أَفْعَلَ – يُطيقونه.

مقدّمة

الحمد لله الذي وفّى كلّ لفظ في القرآن مؤدّاه، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، ومن اتّبع هداه إلى يوم يلقاه،،،

أمّا بعد،،،

فلقد أثار فضولي، عند قراءتي الآيةَ الرابعةَ والثمانين من سورة البقرة، في سياق الحديث عن فرض الصيام على المؤمنين، في قوله سبحانه: "وَعَلَى الَّذينَ يُطيقونَهُ فِدْيَةٌ" تحديدًا أثار فضولي تساؤلٌ في مقصد المخاطِب – جلّ و علا – من هذا الحُكم؛ فكيف تُطلب الفدية ممّن بوسعه الصيام في أيّام شهر رمضان أو في غيره؟ إذ إنّ هذا هو الظاهر؛ فالمعنى الذي يتبادر إلى ذهن المتلقّي من قوله تعالى: "يُطيقونَهُ" المقدرة والتحمّل واستطاعة الصيام، فكيف يصوم ويدفع الفدية؟

وعندئذ بحثتُ في كتب التفسير عن معنى هذه الآية الكريمة وتلك الجزئيّة العظيمة منها، فوجدتُ أقوالًا متعدّدة، ولكنّني لم أجد ما يجيب عن ذلك التساؤل بما يريح النفس، ويروي ظمأ صداها.

ولمّا كان الأمر كذلك – وحيث إنّني لستُ متخصّصًا في علم التفسير – فقد سعيتُ إلى فهم المقصود من طريق أُخرى، ولمّا كان الدرسُ اللُّغويُّ الصريحُ لا ينفكّ بحال عن تفسير آيات القرآن الكريم؛ ولأنّه يشغل حيّزًا كبيرًا من تفكيري، فقد آثرتُ أن أنظر إلى المسألة من ناحية لغويّة صرفيّة صِرفة، وجعلتُها منطلقًا لفهم ذلك الخطاب الربّانيّ العظيم وبما يُجيب على ذلك التساؤل؛ فكتبتُ هذه الوريقات مستعينًا بالله سبحانه.

وما الغاية من تحليل الخطاب القرآنيّ – وهذه الورقة البحثيّة القصيرة جزءٌ منه – والأخذ فيه والردّ من أقوال العلماء والمفسّرين، إلّا الوصول إلى بيان الوجه الحقّ من ذلك الخطاب ما استطعنا منه إلى ذلك سبيلًا. وسعيًا إلى تبيان ذلك الحقّ في هذا فقد تناولتُ الأمر بالبحث في الخطاب بصورة عامّة ودلالة الخطاب

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

في التفسير بصورة خاصّة؛ وتبع ذلك بحثٌ في أقوالِ المفسّرين في تفسير الآية الكريمة مدار البحث، ليفيدني ذلك كلّه في وضع أسس أتّكئ عليها في إثبات حُجّتي، وأخلص – عندئذٍ – إلى ما وراء الخطاب في الآية الكريمة بالتحليل والدليل والبرهان، وجعلت ذلك كلّه في تمهيد ومطالبَ ثلاثة.

هذا وبعد أن انتهيتُ من إعدادي لهذا البحث – على تواضعه – لأرجو الله العليّ القدير أن يزيد به في نفع كلّ من جعل العلم له طريقًا، وجعل المعرفة عنده غايةً مبتغاه، شكرًا لفضل الله وطلبًا لرضاه.

تمهيد

للخطاب تعريفاتٌ كثيرةٌ لكنّ أقلّها أن نقول: هو اللسانيّ المنطوق والمكتوب، وقد ساهم في دراسات الخطاب علماء النفس والاجتماع والفلسفة، وله صلات بالدراسات النقديّة مثل البنيويّة والتناصّ والحداثة وما بعد الحداثة. ولكلّ خطاب مستويات، كما أنّ له جذورًا فلسفيّة في الفلسفة التحليليّة وعلم الظاهرات البنيويّة. ولقد وصل المصطلح إلى العالم العربيّ في الثمانينيّات من القرن الماضي وأخذ تنوّعًا واسعًا حتّى اقترب من البلاغة والحِجاج والجدل، وقد ألصق بمصطلح الخطاب أوصاف؛ فقيل: الخطاب الإعلاميّ والخطاب الثقافيّ والخطاب الفنّيّ والخطاب السياسيّ والخطاب الاجتماعيّ والخطاب الإبداعيّ والخطاب القرآنيّ؛ وهو ما ستتناوله الورقة البحثيّة.

والخطاب القرآنيّ هو منظومة النصوص القرآنيّة التي خاطب الله تعالى بها عباده، وهو يحمل رسالة هدفها التأثير في الناس، ويقوم على جوانب عقليّة فكريّة ونفسيّة ومعرفيّة واجتماعيّة بتشكّلات أسلوبيّة مؤثّرة. ويمثّل نصّ القرآن الكريم خطابًا من المرسل وهو الله سبحانه إلى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – المتلقّي الأوّل وإلى البشريّة كافّة وهي المتلقّي الثاني. والمتلقّي الأوّل – صلّى الله عليه وسلّم – قد أدّى تلك الرسالة على وجهها الحقّ، وأمّا المتلقّي الثاني – وأقصد أصحاب العلم منهم – فلقد كلّفوا بإيصال هذا الخطاب إلى بعضهم وغيرهم من البشر، وقد أدّوا دورًا واضحًا في توضيح أغراض الخطاب، ومقاصد الرسالة، والبنيات الكلّيّة والتفصيليّة فيه بحسب قدراتهم العقليّة وإمكاناتهم العلميّة المتاحة ضمن سياقهم التاريخيّ. وقد نتج عن تفاعل المتلقّي الثاني من علماء ومجتهدين ودارسين مع الخطاب القرآنيّ في بعض الأحيان آراء وتأويلات متغايرة الفهم لهذا الخطاب وصلت حدّ الشيء ونقيضه(١).

ووفق هذا التمهيد للخطاب، والخطاب القرآنيّ على وجه الخصوص، ومن هذه المُنطلقات جميعًا يقصد الباحث من ورقته البحثيّة الوصول إلى الغاية من فهم الخطاب القرآنيّ – في موضع معيّن – فهمًا ينطلق من قواعد علم الصرف العربيّ، وصيغة: (أَفْعَل – يُفعِلُ) تحديدًا، في جملة: (يُطيقونه) في قوله تعالى: "وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ" [البقرة – ١٨٤].

المطلب الأوّل
دلالة الخطاب في التفسير

• في ظلّ الآية الكريمة:

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ"

هذه إطلالة عامّة على الآية الكريمة وإثباتٌ لنصّها في سياقها الذي يقوم على فرض الصيام على المؤمنين في شهر رمضان المبارك بما هو ركنٌ من أركان الإسلام الخمسة، وما استثني من الحكم من أصحاب الأعذار. وليس المقام هنا مقام تفسير للآية الكريمة أووقوف على حيثيّاتها، ولكنّ البحث سيتركّز على قوله تعالى: "وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ" لما لذلك من أثر في الإجابة على ذلك التساؤل مدار البحث.

• "وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ"

للإجابة على التساؤل الذي استهلّ الباحث حديثه به في ملخّص هذا البحث كان لا بدّ من استقراء كتب التفسير، والوقوف عند ما يقوله المفسّرون من وجوه تفسير هذه الآية الكريمة وتحديدًا ما يقولونه في جملة: "يُطيقونه"؛ وذلك فهمًا للمقصود من الخطاب القرآنيّ فيها، وأمنًا للّبس من فهم معانٍ قد يلحظ منها القارئ لمحة من تناقض – وحاشا لله ذلك – .

وعند تتبّعي لبعض تفاسير القرآن الكريم، وقفْتُ على أقوال متعدّدة في تفسير هذه الجزئيّة العظيمة من تلك الآية الكريمة: "وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ"، ووجدْتُ أنّ للمفسّرين فيها أقوالًا متعدّدة؛ أحدها: أنّ الآية منسوخة وكلمة يُطيقونه فيها تعني: يتجشّمونه (٢)، ومعنى ذلك

أنّ الصوم كان بالاختيار لمن شاء؛ ويقول ذلك معاذ بن جبل – رضي الله عنه-: "كان في ابتداء الأمر مَن شاءَ صام، ومن شاءَ أفْطر وأطْعمَ عَن كُلِّ يَوم مسكينًا، وهكذا رَوى البُخاريُّ عَن سَلَمَةَ بن الأكْوَع أنّه قال: كان من أرادَ أن يفطر يفادي حتّى نزلت الآيةُ التي بعدها – " فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ" – فَنَسَخَتْها، ورُوِيَ أيضًا من حديث عُبيد الله عَن نافع عن ابن عمرَ قال: هِيَ مَنْسوخَة)٣(. وثانيها: أنّ الآية الكريمة ليست منسوخة؛ فروى البخاريّ عن ابن عبّاس قوله: "ليست منسوخة: هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة يَستطيعانِ أن يصوما فيطعمانِ مكانَ كُلِّ يوم مسكينًا"(٤). وقولُ ابن عبّاس بعدم النّسخ ليس صرفًا بل يجمع بين الأمرين بقوله: " فحاصلُ الأمرِ أنَّ النسخ ثابت في حقّ الصّحيح المقيم بإيجاب الصّيام عليه بقوْله: فمن شهد منكم الشّهر فليْصمه، وأمّا الشّيخُ الفاني الهرِمُ الذي لا يستطيعُ الصّيام فلهُ أن يفطرَ ولا قَضاءَ عليه؛ لأنهُ ليست له حال يصيرُ إليها يتمكَّنُ فيها من القَضاء، ... وممّا يلتحق بهذا المعنى الحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما أو ولديهما"(٥). على أنّ ابن عبّاس – رضي الله عنه – كان يقرؤها فيما روي عنه: (وعلى الذين يُطَوَّقونه)(٦)، ويطوّقونه: " تفعيل من الطوق إمّا بمعنى الطاقة أو القلادة، أي يكلفونه أو يقلدونه ويقال لهم صوموا. وعنه: يتطوّقونه بمعنى يتكلّفونه أو يتقلّدونه. ويطوّقونه بإدغام التاء في الطاء. ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطوقونه، وأصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه، على أنّهما من فيعل وتفعيل من الطوق، فأدغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم: تدير المكان وما بها ديار. وفيه وجهان: أحدهما نحو معنى يطيقونه. والثاني يكلفونه أو يتكلفونه على جهد منهم وعُسر وهم الشيوخ والعجائز، وحكم هؤلاء الإفطار والفدية، وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ. ويجوز أن يكون هذا معنى يطيقونه، أي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم"(٧).

وقرأ سعيد بن المسيّب: «يُطيّقونه» بضم الياء الأولى وتشديد الياء الثانية. ومجاهد وعكرمة «يطّيّقونه» بتشديد الطاء والياء الثانية وكلتا القراءتين على صيغة المبني للفاعل على أن أصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل لا من فعل وتفعل وإلا لكان بالواو دون الياء لأنه من طوق وهو واوي، وقد جعلت الواو ياء فيهما ثمّ أدغمت الياء في الياء ومعناهما يتكلفونه، وعائشة رضي الله تعالى عنها: «يطوقونه» بصيغة المبني للمفعول من التفعيل أي يكلفونه أو يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة أو القلادة، وفسّرها بعض الناس بيصومونه جهدهم وطاقتهم، وهو مبني على أن- الوسع- اسم للقدرة على الشيء على وجه السهولة- والطاقة- اسم للقدرة مع الشدة والمشقة، فيصير المعنى: وعلى الذين يصومونه مع الشدة والمشقّة، وعلى أنه من أطاق الفعل بلغ غاية طوقه أو فرغ طوقه فيه(٨).

قلتُ: وما زال الإشكال قائمًا في هذا القول من التفسير، فكيف يطيق – مع الشدّة – ويصوم ثمّ يدفع الفدية؟

وللتوفيق بين اللفظ والمعنى، والخروج من هذا الإشكال اللغويّ – الظاهريّ – يرى بعض العلماء أنّ في الآية الكريمة حذفًا للإيجاز فيقدّر بالقول: (وعلى الذين يطيقونه – إن أفطروا – فدية) (٩).

ولم يقف الأمر عند هذا؛ "فقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أنّ معنى قوله:"وعلى الذين يطيقونه"، وعلى الذين يطيقون الطعام. وذلك لتأويل أهل العلم مخالفٌ"(١٠) .

إنّ الناظر المتبصّر في هذه الآراء كلّها من أقوال المفسّرين يدرك أنّ الخطاب اللغويّ الذي يقوم فهم آيات القرآن الكريم عليه وينبني، قد أهمل من أقوال المفسّرين – كلّها – وأنّ اللغة وعلومها لم تجد مكانًا لها في هذه الآراء؛ خلا إشارة خاطفة من أحد المفسّرين هو الألوسيّ، سأجلّيها عندما يكتمل عِقد هذا البحث.

المطلب الثاني
دلالة الخطاب اللّغويّ

سنقف في هذا المطلب من البحث على جملة: "يُطيقونه" على وجه التحديد؛ إذ إنّ من اللافت لقارئ سياق الآية الكريمة عدم نفي هذه الجملة بأداة من أدوات النفي، حيث ينتظر القارئ ذلك من أجل استقامة المعنى لديه؛ فمن الطبيعيّ أنّه إذا لم يكن باستطاعة المكلّف بالصيام أو لم يكن ذلك بوسعه أو طاقته أن يُعفى من الصيام فيدفع الفدية أو يقضي ما أفطره حال استطاعته، وذلك حسب ما يقتضيه الحُكم الشرعيّ. ولكنّ الأمر لم يأت على هذه الشاكلة، فكأنّ من كان بوسعه وطاقته الصيام يصوم ويفتدي بعد ذلك، و هذا المعنى لا يستقيم.

ولمّا كان الأمر كذلك فإنّه لابدّ من البحث في بنية الكلمة لغويًّا؛ لمعرفة دلالتها بما يُفهم المعنى بوجه صحيح غير ملبس،

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

على أنْ يؤخذ بالاعتبار ما قيل في المطلب السابق من أقوال المفسّرين بالعموم مع أنّهم – على علوّ قدرهم ورفعة مكانتهم وعظيم شأنهم – لم يذكروا شيئًا عن المعنى اللغويّ إلّا نزرًا يسيرًا.

ولْنقف أوّلًا على معنى "طاق" لغةً؛ فقد جاء في معجمات العربيّة: الطّوْقُ والإطاقة: القدرة على الشيء. والطّوقُ: الطاقة. وقد طاقه طوقًا وأطاقه إطاقةً وأطاق عليه، والاسم الطاقة. وهو في طوقي أي في وُسْعي؛ قال ابن بَرّيّ: وقول عمرو بن أُمامة:

لَقَدْ عَرَفْتُ الموتَ قَبْلَ ذَوْقِه
إنّ الجَبانَ حَتْفُه مِنْ فَوْقِه
كلُّ امْرِئٍ مُقاتِلٌ عَنْ طَوْقِه
كالثَّوْرِ يَحْمي جِلْدَه بِرَوْقِه

أراد بالطّوق العنق، ورواه الليث: كلّ امرئ مجاهد بطوقه قال: والطّوق: الطاقةُ أي أقصى غايته، وهو اسم لمِقْدار ما يمكن أن يفعله بمشقّة منه. يقول: كل امرئ مكلف ما أطاق؛ قال أبو منْصُور: يقال طاق يطوق طوقًا، وأطاق يطيق إطاقة وطاقة، كما يُقال: طاع يطوع طوعًا، وأطاع يطيع إطاعة وطاعة. والطاقة والطاعة: اسمان يوضَعان موْضعَ المصْدر؛ قال سيبويه: وقالوا طلبته طاقتك، أضافوا المصدر وإن كان في موضع الحال، كما أدخلوا فيه الألف واللام حين قالوا أرسلها العراك، وأما طلبْتُه طاقتي فلا يكون إلا معرفة. وطوّقتُك الشيء أي كلّفْتكَه. وطوَّقني الله أداء حقّك أي قوّاني. وطوَّقتْ له نفسُه: لغة في طوَّعت أي رخّصت وسهّلت(١١) .

يتّضح من هذا كلّه معنيَيْن للطاقة: القدرة، أو أن تكون الطاقة من الطوق، كالطوق في العنق. ومن الواضح من المعجم – كذلك – أنّ مصدر "طاق": طاقة، وإطاقة.

ولكنّني – عند الحديث في المطلب الثالث: "ما وراء الخطاب في الآية الكريمة" – سأبيّن أنّ "طاقة" و"إطاقة" هما مصدران لفعلين: أحدهما ثلاثيّ والآخر رباعيّ.

المطلب الثالث
ما وراءَ الخطاب في الآية الكريمة

يبدو الخطاب المباشر في هذه الآية حمّالًا لوجوه – كما أشرت سابقًا – ولكنّ الرائي بمنظار اللغة يرى وراء هذا الخطاب سرًّا لا يخفى أنّه لغويٌّ صرفيٌّ صرف؛ فبرجوعنا إلى تركيبة الفعل: "يُطيقونه" نجد أنّه فعلٌ مضارع مضموم الياء الأولى (ياء المضارعة)، وهذا يدلّ دلالة قاطعة بأنّه فعلٌ رباعيّ مزيد، بل إنّ ماضيه مهموز الأوّل بالضرورة، وأمثلة تلك الأفعال في اللغة كثيرةٌ لا حصر لها؛ فمنها: (أقام ومضارعه: يُقيم، وأراد ومضارعه: يُريد، وأعرض ومضارعه: يُعرض، وأبقى ومضارعه: يُبقي ....) ما يدلّ على أنّ ماضي يُطيق هو "أطاق" وليس "طاق" كما يظنّ كثيرون، ولذلك فالهمزة زائدة على الفعل وليست من أصله. يقول ابن هشام: " إن كان الماضي أربعة أحرف سواء كانت كلها أصولًا، نحو دحرج يدحرج أو كان بعضها أصلًا وبعضها زائدًا نحو: أكرم: يُكرم؛ فإن الهمزة فيه زائدة؛ لأن أصله كرم ويفتح إن كان الماضي أقل من الأربعة أو أكثر منها"(١٢). ولكنّ الفعل (طاق) هو الأصل.

وقد يحتجّ على هذا القول قوم، فيقولون بعدم استعمال هذا الفعل الثلاثيّ في اللغة، فأقول: ليس أدلّ من مصدره على ما قلت لأحتجّ به؛ فمصدر الثلاثيّ "طاق": (طاقة) لا (إطاقة)، وأنّ "أطاق" مصدره (إطاقة)، وإنّني أزعم أنّ هذه الكلمة: (إطاقة) لم تستخدم في القرآن الكريم. وفي التنزيل العزيز قوله تعالى: "فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ" [البقرة: ٢٤٩]، وقوله سبحانه: "رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ" [البقرة: ٢٨٦]، إشارة إلى ذلك. وأضيف: يقاس على هذا الفعل في الاستعمال الفعل: (طاع) (١٣)، وفي التنزيل العزيز قوله تعالى: "ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ" [فصلت: ١١]، فورود اسم الفاعل (طائعين) بهذه الصيغة من الثلاثيّ لدليل قاطعٌ على أنّه من الفعل: (طاع)، وما قيل عن: (طاع) يقاس على: (طاق) بالضرورة.

أمّا الهمزة الزائدة – وقد تأكّد أنّها زائدة – فلها معناها؛ إذ من المعلوم باب "الزيادة في الأفعال" في علم الصرف على قاعدة: الزيادة في المبنى تؤدّي إلى زيادة في المعنى، ومعاني الزيادة متعدّدة؛ ومنها: "السّلب والإزالة، كأقذيتُ عينَ فلان، وأعجمتُ الكتابَ: أي أزلتُ القذَى عن عينه، وأزلت عجمةَ الكتاب بنقطه"(١٤)، وأفلس فلانٌ: أي زالت فلوسه. وهي في الفعل (أطاق) من هذا النوع وليس من غيره من معاني الزيادة للبعد المعنويّ عنه.

الخاتمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين،

سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فبعد انتهائي من هذه الوريقات التي تناولتُ فيها جانبًا من الآية الرابعة والثمانين بعد المئة الأولى من سورة البقرة، بالبحث والعرض انتهيت إلى رأي صفوةُ القول فيه: إنّ الفعل في جملة (يُطّيقونه) هو فعلٌ مضارع للفعل الماضي (أطاق)، وليس من الفعل: (طاق)، ولو كان الأمر كذلك لكان مضارعه: يَطيق (بفتح الياء الأولى – ياء المضارعة)، والهمزة الزائدة فيه أفادت السلب والإزالة؛ أي أنّ يَطيق بوجه عامّ بمعنى: يستطيع و يتحمّل، ويُطيقونه – في الآية الكريمة – بمعنى: لا يستطيعون صيامه ولا يَطيقونه، فهو ليس بوسعهم. والحقّ أنّي لم أجد هذا القول في ما اطّلعت عليه من كتب التفسير إلّا إشارة واحدة في تفسير الألوسيّ المتوفّى سنة ١٢٧٠ هجريّة، وذلك بقوله: "وجاز أن تكون – الهمزة – للسلب كأنّه سلب طاقته بأن كلف نفسه المجهود فسلب طاقته عند تمامه، ويكون مبالغة في بذل المجهود لأنه مشارف لزوال ذلك"(١٥).

وإنّني إذ أقرّ بما عندي من نقص لأرجو أن أكون قد وفّقت في هذه الورقة البحثيّة، وقدمتُ شيئًا مفيدًا نافعًا، وإذ إنّي لا أخشى الغرق في بحر البحث؛ فأسأل الله أن أعود ببعض سمكه، وكذا، فالله َ أسأل أن يكون عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، لا أبتغي أحدًا سواه، ابتغاءً لمرضاته، وطلبًا لرضاه.

الهامش والحواشي

(١) انظر الخطاب العقليّ في القرآن الكريم، د. فريال القضاة، ص ٦٩، ٧٠.

(٢) انظر تفسير ابن كثير، ط/ العلميّة (ج١، ص ٣٦٦).

(٣) انظر تفسير ابن كثير، ط/ العلميّة (ج١، ص ٣٦٦) و انظر تفسير الطبريّ، جامع البيان: (ج٣ ، ص ٤١٨، ٤٢٠، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٧، ٤٣٤، ٤٣٥) وانظر تفسير الزمخشري، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل: (ج١، ص ٢٢٦)، وانظر تفسير الألوسيّ، روح المعاني: (ج١، ص ٤٥٥، ٤٥٦).

(٤) انظر تفسير ابن كثير، ط/ العلميّة (ج١، ص ٣٦٦).

(٥) نفسه، (ج١، ص ٣٦٦، ٣٦٧).

(٦) انظر تفسير الطبريّ، جامع البيان، (ج٣، ص ٤١٨، ٤٢٩، ٤٣٠).

(٧) انظر تفسير الزمخشري، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، (ج١، ص ٢٢٦).

(٨) انظر تفسير الألوسيّ، روح المعاني، (ج١، ص ٤٥٦).

(٩) انظر تفسير الألوسيّ، روح المعاني: (ج١، ص ٤٥٥).

(١٠) انظر تفسير الطبريّ، جامع البيان، (ج٣، ص ٤٣٨).

(١١) انظر لسان العرب، (ج١٠، ص ٢٣٢، ٢٣٣)، وانظر الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربيّة، (ج٤، ص١٥١٩)، وانظر الوسيط، (ج٢، ص٥٧١).

(١٢) انظر شرح قطر الندى وبلّ الصدى، (ص ٣٤) .

(١٣) وقد ورد ذلك في المطلب الثاني من هذا البحث.

(١٤) انظر شذا العَرف في فنّ الصرف، ص ٣٠.

(١٥) انظر تفسير الألوسي، روح المعاني، (ج١، ص ٤٥٦).

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

ثَبَت المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٨.

٣- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٢٤.

٤- الخطاب العقليّ في القرآن الكريم، دراسة في علم تحليل الخطاب، د. فريال محمّد القضاة، دار العالم العربيّ للنشر والتوزيع، دبيّ، الإمارات العربيّة المتّحدة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، عدد الأجزاء: ١.

٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ١٦ (١٥ ومجلد فهارس).

٦- شذا العَرف في فنّ الصرف، أحمد بن محمد الحملاوي (المتوفى: ١٣٥١هـ)، تحقيق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد الرياض، عدد الأجزاء: ١.

٧- شرح قطر الندى وبلّ الصدى، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، الطبعة: الحادية عشرة، ١٣٨٣هـ، ، عدد الأجزاء: ١.

٨- الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربيّة، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، عدد الأجزاء: ٦.

٩- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ، عدد الأجزاء: ٤.

١٠- لسان العرب، محمد بن مكرم بن عليّ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأن.

١١- صاري الرويفعيّ الإفريقيّ (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، عدد الأجزاء: ١٥.

١٢- محاضرات في مادّة تحليل الخطاب، د. خالد الكركيّ، قسم اللغة العربيّة، الجامعة الأردنيّة – عمّان، الفصل الدراسيّ الأوّل، ٢٠١٤- ٢٠١٥.

١٣- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى و أحمد الزيّات، حامد عبد القادر، محمّد النجار، دار الدعوة.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2